جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الْمُفْرَدَةُ الْقُرْآنِيَّةُ
بَيْنَ
اللُّغَوِيِّينَ والْمُفَسِّرِينَ

إعداد الدكتور

سامي بن مسعود الجعيد
أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الكتاب والسنة
بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

قسّم الباحث بحثه إلى ثلاثة مباحث.

المبحث الأول: مصادر الفريقين (اللغويين والمفسرين) في بيان المفردة القرآنية، وذكر تحته أربعة مطالب بيان المفردة القرآنية بالقرآن وبالسنة وبأقوال السلف وبمقتضى العربية.

المبحث الثاني: موقف الفريقين من الأحوال والقرائن المتعلقة بالمفردة القرآنية، وذكر تحته ثلاثة مطالب موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله، وموقفهم من أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن، وكذلك موقفهم من قرينة السياق.

المبحث الثالث: طريقة الفريقين في عرض وبيان المفردة القرآنية، وساق تحته مطلبان طريقة الفريقين في عرض المفردة القرآنية وكذلك في بيانها.

وتوصل الباحث إلى عدة نتائج، من أهمها".

١- برز المفسرون في الاعتماد على المصادر النقلية، بينما برز اللغويون في الاعتماد على اللغة.

٢- لطريقة القرآن واستعمال معهوده وأحوال من نزل فيهم أثر في بيان المفردة القرآنية، وكان للمفسرين قصب السبق في إعمال ذلك دون اللغويين.

٣- للسياق أثره في بيان المفردة القرآنية، إذ أن إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك.

٤- تميز الفريقان في عرض المفردة القرآنية، بيْد أن اللغويين أكثر تميزاً في عرض المفردة القرآنية.

٥- برز أسلوب التفسير اللفظي عند اللغويين أكثر منه عند المفسرين، بينما برز عند الآخرين أسلوب التفسير على المعنى.

ABSTRACT

The researcher divided his research into three topics:

First Topic: Sources of the two parties in interpreting the Quranic word. He mentioned in it the sources of the interpretation of the Quranic word in the Quran and the Sunna and in the sayings of the predecessors and according to Arabic.

Second Topic: The opinion of the two parties of conditions and evidence related to the Quranic word. He mentioned in it their attitude about the method of the Quran and its normal use and opinion of the conditions and habits of whose whom the Quran came in and the opinion of the context evidence.

Third Topic: The method of the two parties in introducing and interpreting the Quranic word. He stated in it the method of the two parties in introducing the Quranic word as well as in interpreting it.

The researcher found out some results, the most important as follows:

١. The interpreters emerged in reliance on quoted sources. But linguists emerged in reliance on language.
٢. The method of the Quran and the normal use and the conditions of whose whom the Quran came in has an influence in the interpretation of the Quranic word. interpreters had a head start in doing so but not the linguists.
٣. The context has an influence in the interpretation of the Quranic word. Whereas including the work in the meaning of what precedes it and beyond is more important than coming out of that.
٤. The two parties are distinguished in introducing the Quranic word. But linguists are more distinguished in introducing the Quranic word.
٥. The method of verbal interpretation emerged among the linguists rather than in the interpreters. But the method of interpretation emerged among others rather than of meaning.

المُقَدِّمَة

الحمد لله الرحمن الرحيم، علم القرآن، خلق الإنسان، علّمه البيان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، أفصح العرب لساناً، وأعلاهم بياناً، وأشرفهم نسباً، وعلى آله الأطهار، وصحابته الأخيار، والتابعين ومن تبعهم واقتفى أثرهم إلى يوم البعث والقرار.

أما بعد:

"فإن أولى ما أعملت فيه القرائح، وعلقت به الأفكار اللواقح، الفحص عن أسرار التنزيل، والكشف عن حقائق التأويل، فهو العصمة الواقية، والنعمة الباقية، سراج لا يخبو ضياؤه، وشهاب لا يخمد نوره وسناؤه، وبحر لا يدرك غوره، فسبحان من سلكه ينابيع في القلوب، وصرفه بأبدع معنى وأغرب أسلوب، لا يستقصي معانيه فهم الخلق، ولا يحيط بوصفه على الإطلاق ذو اللسان الطلق، فالسعيد من صرف همته إليه، ووقف فكره وعزمه عليه"[(١)].

ولما كان الأمر كذلك، حاولت جاهداً – بحول الله وقوته – أن أنضم لأُولئك الركب الميامين المشتغلين بكتاب الله، فجئت بهذا البحث لعله أن ييسر للطالبين تفسير كتاب الله جل وعلا السبيل، ويسهل لهم معرفة تعامل المفسرين واللغوين مع المفردة القرآنية؛ ذلكم أن طريق التوصل إلى فهم كتاب الله هو النظر في مفردات الألفاظ ومدلولاتها[(٢)].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣٠/١) بتصرف.

(٢) المصدر السابق (٢١٧/٢).

* أهمية الموضوع:

١- "إن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعارف لمن يريد أن يدرك معانيه"(١).

٢- وإذا كان الأمر كذلك فمن لم يتبين معاني الألفاظ القرآنية أغلق عليه باب التدبر، وأشكل عليه فهم الجملة، وخفي عليه نظم السورة. ولا يمكن أن يكون ذلك إلا من جهة اللسان العربي.

٣-بَيْد أنه لابد من مراعاة النظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به، والنظر في سياق الآيات.

٤-وعليه، فلابد من دراسة طريقة أهل العلم في تناولهم لبيان المفردة القرآنية، فجاء هذا البحث محاولاً الكشف والمقارنة بين اللغويين والمفسرين في بيان المفردة القرآنية.

ولم أجد بعد البحث والتقصي – حسب جهدي – بحثاً تناول هذا الموضوع بعينه، وإن كان ثمت دراسات كثيرة ومتنوعة تناولت أطرافا من مباحث هذا البحث بالدراسة.

* خطة البحث:

تحوي مقدمة، وتمهيداً، وثلاثة مباحث، وخاتمة، ورسمها كالآتي:

المقدمة:

وتشتمل على أهمية الموضوع وخطة البحث ومنهج البحث. والتمهيد يشتمل على مطلبين: **الأول:** أهمية العربية في التفسير ٠

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني (ص:٥٤).

الثانى: أنواع المفردة القرآنية.

المبحث الأول: مصادر الفريقين في بيان المفردة القرآنية، وتحته أربعة مطالب:

- **المطلب الأول:** بيان المفردة القرآنية بالقرآن.
- **المطلب الثاني:** بيان المفردة القرآنية بالسنة.
- **المطلب الثالث:** بيان المفردة القرآنية بأقوال السلف.
- **المطلب الرابع:** بيان المفردة القرآنية بمقتضى اللغة.

المبحث الثاني: موقف الفريقين من الأحوال والقرائن المتعلقة بالمفردة القرآنية، وتحته ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول:** موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله.
- **المطلب الثاني:** موقفهم من أحوال وعادات في نزل فيهم القرآن.
- **المطلب الثالث:** موقفهم من قرينة السياق.

المبحث الثالث: طريقة الفريقين في عرض وبيان المفردة القرآنية، وتحته مطلبان:

- **المطلب الأول:** طريقة الفريقين في عرض المفردة القرآنية.
- **المطلب الثاني:** طريقة الفريقين في بيان المفردة القرآنية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

* منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الآتي:

١- اقتصرت في هذا البحث على المقارنة بين ما ذكره المفسرون وبين ما ذكره اللغويون، وعنيت باللغوين أصحاب كتب المعاني؛ لأن من أتى بعدهم كان ناقلاً لأقوالهم سواء صرح بهم أم لا.

٢-اكتفيت بالإشارة إلى بعض الأمثلة التي أحسب أنها تفي بالغرض، ولم أقصد التطويل؛ لأن هذا البحث عبارة عن إشارات علّها أن تفتح للباحثين المتخصصين أبواباً من الدراسة والتتبع.

٣-اعتمدت في ذكر الآيات على رواية حفص عن عاصم الكوفي، وما أوردته من قراءات قمت بعزوها إلى قرائها ومن مصادرها، وكتبت الآيات بالرسم العثماني.

٤-عزوت الأحاديث الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية.

٥- وثقت النصوص التي أنقلها توثيقاً علمياً من مصادرها.

هذا، وقد بذلت في هذا البحث جهداً، فإن وفقت فذاك محض فضل من الله وتوفيق منه، وإن تكن الأخرى فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إعداد الدكتور

سامي بن مسعود الجعيد

التمهيد

وفيه مطلبان:

الأول: أهمية العربية في التفسير.

الثاني: أنواع المفردة القرآنية.

المطلب الأول
أهمية العربية في التفسير

اختار الله (ﷻ) نبيه محمد بن عبدالله القرشي العربي (ﷺ) ليكون خاتم النبيين، وقد قضى (ﷻ) أن يكون كتابه بلسان قومه، جرياً على سنته في إرسال رسله عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾[1].

فنزل القرآن بلسان عربي مبين كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢﴾[2].

وإذا كان الأمر كذلك فلابد في فهمه "من اتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم"[3].

و"العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق من العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب، حتى لا غناء بأحد منهم عنه"[4]، "فإن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[5].

---

(١) سورة إبراهيم (عليه السلام)، الآية رقم (٤).
(٢) سورة يوسف (عليه السلام)، الآية رقم (٢).
(٣) الموافقات للشاطبي (١٣١/٢).
(٤) الصاحبي لابن فارس (ص:٥٥).
(٥) اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (٥٢٧/١).

لذا كان من شروط المفسر أن يكون عالماً بلغة العرب[١]، إذ هي سلم ومرقاة لعلم التفسير، بل ولجميع العلوم، يقول الإمام مالك (رحمه الله): (لا أوتي برجل غير عالم بلغات العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالاً)[٢].

والجهل بالعربية مفضٍ إلى الخطأ في التفسير، فقد روى البيهقي عن الأصمعي قال: جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال له: يا أبا عمرو، الله يخلف وعده؟ قال: لن يخلف الله وعده، قال عمرو: فقد قال. قال: أين؟ فذكر آية وعيد لم يحفظها أبو عمرو، فقال أبو عمرو: من العجمة أُتيت، الوعد غير الإيعاد، ثم أنشد أبو عمرو:

وإني وإن أوعدته أو وعدته ** سأخلف إيعادي وأنجز موعدي[٣]"

ويمكن أن يقال: إن الجاهلين بالعربية مع التفسير صنفان:

صنف: تأولوا القرآن الكريم على غير تأويله، فوقعوا في الخطأ، وجانبوا الصواب، وابتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله، أهلكتم العجمة[٤].

يقول الشافعي: "ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس"[٥].

والصنف الآخر: قوم تأولوا ألفاظ القرآن الكريم "بما لم يُؤلِف استعمال اللفظ له في لغة العرب البتة وإن كان معهوداً في اصطلاح المتأخرين، كما تأولت طائفة

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤٧٥/١)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢٢٩٣/٦).

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٥٤٣/٣).

(٣) شعب الإيمان للبيهقي (٤٧١/١)، والشاهد الشعري لعامر بن الطفيل. انظر: ديوانه (٥٨).

(٤) انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٩٣/٥)، والسنة للمروزي (ص٧).

(٥) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام للسيوطي ص (٤٨).

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ﴾[1] بالحركة، وقالوا: استدل بحركته على بطلان ربوبيته، ولا يعرف في لغة العرب التي نزل بها القرآن أن الأفول هو الحركة في موضع واحد البتة"[2].

ويلحق بهذا الصنف، بعض من كتب في الإعجاز العلمي، كتفسير بعضهم الأقطار في قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ﴾[3] بأنه القطر الهندسي، وهو الخط الهندسي المنصِّف للدائرة أو الشكل البيضاوي[4].

إذا تبين هذا ؛ فإنه لا يعرف فضل القرآن إلا "من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات"[5]، ومن رام فهمه ببضاعة مزجاة من العربية فقد أبعد النجعة وأغرق في النزع.

(١) سورة الأنعام، الآية رقم (٧٦).
(٢) الصواعق المرسلة لابن القيم (٢٤/١) بتصرف.
(٣) سورة الرحمن، الآية رقم (٣٣).
(٤) انظر: (وكان عرشه على الماء) لعادل محمد عباس (ص:٥١).
(٥) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص:١٢).

المطلب الثاني
أنواع المفردة

تميز القرآن الكريم بإعجاز نظمه، فهو على حد واحد في حسن نظمه، وبديع تأليفه ورصفه، و" لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد"(١).

ومن هنا فإن "أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن، العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه"(٢)؛ ذلك أنها الأصل في الخطاب، وبها يحصل التفاهم، فإذا عرفت الألفاظ انكشفت المعاني وفهمت.

والمتأمل في المفردة القرآنية يجد أنها على أنواع:

الأول: مفردة يعرف معناها جميع أهل اللسان العربي، فهي لا تحتاج إلى بيان وإيضاح، كمفردة الشمس والقمر ونحو ذلك.

الثاني: مفردة يخفى معناها على بعض العرب، إما بسبب قلة استعمالها بينهم، أو بسبب اختصاص بعض القبائل باستعمالها دون بعض(٣)، فهذا النوع يُرجع فيه إلى كلام العرب ومعهود خطابهم.

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية (١٩٢/١).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (ص:٥٤).

(٣) كلفظ (فاطر) مثلاً، فقد أخرج ابن جرير بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال (كنت لا أدري ما (فاطر السموات والأرض) حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أن فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها). جامع البيان (١٧٥/٩).

الثالث: مفردة يُراد بها المصطلح الشرعي، أي: ما جاء بيان معناه على لسان الشارع، والشارع استخدم ما تعرفه العرب من كلامها وزاد عليه معاني، أو خصص ألفاظاً على معنى معين(١)، وهذا النوع يُعرف من جهة الشرع.

والتحقيق أن النص إذا دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية(٢).

الرابع: مفردة يراد بها المصطلح القرآني، وهو أن تأتي المفردة في القرآن على معنى معين من معاني اللفظ، فيكون معنى اللفظ العام قد خص في القرآن بجزء من هذا المعنى العام، كمفردة (زعم) فإنها تطلق على مطلق القول سواء أكان حقاً أم باطلاً(٣)، لكنها جاءت في القرآن فيما يكون في باب الكذب(٤).

وهذا النوع يمكن الرجوع إليه في معرفته إلى الاستقراء التام لمفردات القرآن الكريم، وكذلك إلى الكتب المؤلفة في الوجوه والنظائر.

ويمكن أن يلحق بهذا النوع، المفردات التي لا يعرف بيانها إلا من قِبل أهل التفسير(٥)، وقد نبه إلى ذلك أبو النصر السمرقندي في كتابه (المدخل لعلم تفسير

---

(١) انظر: أقوال العلماء في المسألة في: البحر المحيط للزركشي (٤٧٣/٣ -٤٧٥)، روضة الناظر لابن قدامة (٥٥٠/٢)، مجموع الفتاوى (٢٨٦/٧-٢٩٨).

(٢) انظر: أقوال العلماء في المسألة في: التمهيد لأبي الخطاب (٢٦٢/٢-٢٦٣)، الإحكام للآمدي (٢٥/٣)، إرشاد الفحول للشوكاني (١٣٦/١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة (١٥٣٢/٢)، لسان العرب (٢٦٤/١٢).

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (ص:٣٨٠)، وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم خمس عشرة مرة. انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي (ص: ٤٠٦).

(٥) كلفظ السلسبيل، فقد نقل السمين الحلبي في الدر المصون (٦١٢/١٠) عن ابن الأعرابي قوله (لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن).

كتاب الله تعالى) حيث جعل فيه باباً بعنوان (ما جاء عن أهل التفسير ولا يوجد له أصل عند النحويين ولا في اللغة)، وساق أمثلة على ذلك[1].

(١) انظر: المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى (ص: ٩٨-١١٢)، وكذلك جمهرة اللغة لابن دريد عند حديثه على مفردة السكر (٢٩١/١)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٩٧/١)، ومعاني القرآن للنحاس (٤٠٢/٤).

المبحث الأول

مصادر الفريقين في بيان المفردة القرآنية

وتحته أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان المفردة القرآنية بالقرآن.

المطلب الثاني: بيان المفردة القرآنية بالسنة.

المطلب الثالث: بيان المفردة القرآنية بأقوال السلف.

المطلب الرابع: بيان المفردة القرآنية بمقتضى اللغة.

المطلب الأول
بيان المفردة القرآنية بالقرآن

لابد لكل من تصدى لتفسير كتاب الله من مصادر يؤوب إليها، ومراجع يحتكم إليها، تلكم هي ما يسميه البعض بطرق التفسير(١)، أو بمآخذ التفسير(٢)، وهي التي يُطلق عليها مصادر التفسير.

وقد أجملتها في هذا الموضوع في أربعة مصادر(٣):

الأول: بيان المفردة القرآنية بالقرآن، وهو بيان معنى المفردة القرآنية بآية قرآنية، وهذا البيان قد يُفهم من سياق الآية نفسها، أو قد يكون في آية أخرى، أو يكون من باب بيان القراءة بقراءة أخرى.

وهذا المصدر من أبلغ التفاسير(٤) وأصحها(٥)، وقد أجمع المفسرون على أنه أشرف أنواع التفسير وأجلها؛ إذ لا أحد أعلم بمعنى كلاما لله جل وعلا من الله جل وعلا(٦).

وتفسير القرآن بالقرآن إما أن يكون عن طريق الوحي، وذلك بأن يأتي صريحاً وواضحاً في القرآن نفسه، كتفسير مفردة (الطارق) كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٣/١٣).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١٩٧/٢).

(٣) لن أتطرق في هذا المقام إلى تأصيل كل مصدر من المصادر، لكنني سأكون حريصاً إن شاء الله إلى إبراز كل مصدر عند كل من الفريقين.

(٤) انظر: التبيان في أيمان القرآن لابن القيم: (ص:٢٧٨).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى: (٣٦٣/١٣).

(٦) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٨/١).

﴿وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[١]، أو يكون البيان عن طريق النبي (ﷺ)، كتفسيره لمفردة الظلم بأنها الشرك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾[٢].

والقسم الآخر، ما كان طريقه الرأي والاجتهاد، وما كان هذا طريقه فهو قابل للصواب والخطأ[٣].

والناظر في صنيع المفسرين يجد أنهم فاقوا اللغويين في الاعتماد على هذا المصدر، وتقدمهم عليهم أشهر من أن يذكر[٤]. حتى إن بعض المتأخرين قد أطلق على تفسيره اسماً يُشير إلى هذا المصدر[٥].

وبروز هذا المصدر عند المفسرين لم يقتصر على مجرد البيان[٦] فقط، بل تعداه إلى الاستفادة منه في مجالات أخرى كالترجيح بين الأقوال[٧]، وكبيان الأصل اللغوي للمفردة، وذلك بأن يذكر المفسر مفردة في آية أخرى ليبين أنها مع المفردة المُفسرة قد اشتركتا في معنى لغوي واحد.

---

(١) سورة الطارق، (الآيات١-٣).

(٢) سورة الأنعام الآية رقم (٨٢)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب: (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)، حديث رقم (٤٦٢٩)، وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: صدق الإيمان وإخلاصه، حديث رقم (٣٢٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن بالقرآن، للبريدي (ص:١٩).

(٤) انظر: مثلاً: عناية مقاتل بن سليمان، وابن كثير الدمشقي بهذا المصدر في تفسيرهما.

(٥) انظر مثلاً: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، وتفسير القرآن بكلام الرحمن، لثناء الله الهندي.

(٦) انظر: أوجه تفسير القرآن بالقرآن في: تفسير القرآن بالقرآن للبريدي (ص:٤٠).

(٧) انظر على سبيل المثال: معالم التنزيل (٣٥/١)، التسهيل لابن جزي (١٦/١).

وهذا المجال وإن كان بادياً عند المفسرين إلا أنه قد ظهر وتجلى عند اللغويين، فكانوا أكثر استفادة من المفسرين في هذا المجال.

وهاك – أيها القارئ الكريم – مثالين يدلان على ما ذكرت:

أولهما: لشيخ المفسرين ابن جرير الطبري حيث يقول في جامعه عند تفسيره لمفردة (أحاطت) في قول الله جل: ﴿وَأَحَطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾[1]: "اجتمعت عليه فمات عليها قبل الإنابة والتوبة منها. وأصل الإحاطة بالشيء الإحداق به، بمنزلة الحائط الذي تحاط به الدار فتحدق به، ومنه قول الله جل ثناؤه: ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَآ﴾[2]"[3].

ثانيهما: ما جاء في معاني القرآن للفراء عند تفسيره لمفردة (كفل) في قوله: ﴿يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾[4] حيث يقول: "الكِفل: الحظ، ومنه قوله تعالى ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾[5] معناه: نصيبين"[6].

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٨١).

(٢) سورة الكهف، الآية رقم (٢٩).

(٣) جامع البيان (١٨٢/٢)، وانظر: الهداية لبلوغ النهاية، علي بن أبي طالب (١٥٩٦/٣) عند تفسيره لقوله تعالى: **(وما علمتم من الجوارح)**، والبسيط للواحدي (١١٠/٢)، عند تفسيره لقول الله تعالى: (ختم الله على قلوبهم).

(٤) سورة النساء، الآية رقم (٨٥).

(٥) سورة الحديد، الآية رقم (٢٨).

(٦) معاني القرآن (٢١٤/١)، وانظر مثلاً: معاني القرآن للزجاج (٥٣/٤)، عند تفسيره لقول الله تعالى: **(وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً)**، ومعاني القرآن للنحاس (٣٩٤/٤) عند تفسير لقوله تعالى: **(بإلحاد بظلم)**.

المطلب الثاني
بيان المفردة القرآنية

لا يختلف الأمر عند الحديث على هذا المصدر عن سابقه؛ ذلكم أنه لا أحد من الخلق أعلم بكلام الله من رسوله (ﷺ)، فالرسول (ﷺ): ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1].

وإذا كان الأمر كذلك فسنته (ﷺ) شارحة ومبينة للقرآن الكريم، وقد اتفق على ذلك الصحابة والتابعون وسائر أئمة الدين[2]. إذ إن "من تأويل القرآن ما لا يدرك علمه إلا ببيان الرسول (ﷺ)، وذلك يفصل جُمل ما في آيه، من أمر الله ونهيه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وسائر معاني شرائع دينه، الذي هو مجمل في ظاهر التنزيل، وبالعباد إلى تفسيره الحاجة، لا يدرك علم تأويله إلا ببيان من عند الله على لسان رسوله (ﷺ)"[3].

والتفسير النبوي للمفردات القرآنية قليل؛ لأن من نزل فيهم القرآن عرب أقحاح لم تشبهم عجمة أو لكنة، فلم يكونوا بحاجة إلى بيان معاني المفردات كحاجة من جاء بعدهم.

ومن الأمثلة على تفسير النبي (ﷺ) لبعض المفردات حديث أبي سعيد قال: قال رسول الله (ﷺ) ((يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلَّغ، ويكون الرسول عليكم شهيداً،

---

(١) سورة النجم، الآيتان رقم (٣، ٤).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤٣٢/١٧)، الموافقات (٢٣٠/٣).
(٣) جامع البيان (٨٢/١).

فذلك قوله جل ذكره﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾والوسط: العدل"(١).

وقد اهتم المفسرون بإيراد الأحاديث التي هي من قبيل هذا النوع(٢) خلافاً للغويين؛ وما ذلك إلا لقلة بضاعة الأخيرين في الحديث، ولذلك وقع الخطأ من بعضهم في تفسير المفردة القرآنية، فها هو معمر بن المثنى في المجاز يقول في تفسير (الصور): "يقال إنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم: سور المدينة، واحدتها سورة"(٣).

قال الطبري مستدركاً "والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: ((إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ)) وأنه قال (الصور قرن ينفخ فيه)"(٤).

وأما التفسير بالسنة(٥) فبابه واسع، ومجاله أرحب، وهو راجع إلى الاجتهاد والرأي، وعلى قدر تمكن المبين للآية من الحديث يكون إعماله له، ولذلك توسع

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: التفسير، باب قوله تعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) حديث رقم (٤٤٨٧)، وفي مواضع أخرى من صحيحه.
قال ابن حجر في الفتح (٦٥٥/٩): "قوله: (والوسط: العدل) هو مرفوع من نفس الخبر، وليس بمدرج من قول بعض الرواة كما وهم فيه بعضهم".

(٢) انظر: على سبيل المثال ما جمعه السيوطي في الإتقان (٢٣٤٧/٦) في التفاسير المصرح برفعها إلى النبي (ﷺ)، والتي أوردها المفسرون في كتبهم، وانظر – كذلك – التفسير النبوي، مقدمة تأصيلية مع دراسة حديثية لأحاديث التفسير النبوي الصريح.

(٣) مجاز القرآن (١٩٦/١).

(٤) جامع البيان (٣٤٠/٩).

(٥) في التفريق بين التفسير النبوي والتفسير بالسنة، انظر: مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير، للطيار (ص:١٣٨).

المفسرون في هذا الباب، فأي علاقة يمكن أن تجمع الآية المُفسّرة بالحديث ساقوا الحديث لأجلها، فتنوعت استفادتهم من السنة النبوية[1] خلافاً للغويين.

وهذا لا يعني أن اللغويين لم يوظفوا السنة النبوية في بيان المفردة، لكنهم أقل توظيفاً من المفسرين.

وقد تنوعت مجالات توظيف السنة في بيان المفردة عند الفريقين، ويمكن أن نلخصها فيما يلي:

أولاً: موافقة معنى المفردة في الحديث لمعناها في الآية:

وذلك بأن يذكر واحد من الفريقين حديثاً وردت فيه المفردة القرآنية ليبين أن معنى المفردة في القرآن هو معناه في الحديث.

وهذا الصنيع عند المفسرين أكثر منه عند اللغويين، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عند السمعاني في تفسير مفردة (عزين) في قول الحق جل وعلا: ﴿عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧﴾[2] حيث يقول: "أي متفرقين حلقاً حلقاً. وروى أن النبي (ﷺ) خرج إلى المسجد وأصحابه متفرقون كل جماعة في موضع، فقال: (مالي أراكم

---

(١) انظر: التفسير النبوي (٥٤/١ وما بعدها). وقد عاب الإمام الشوكاني (رحمه الله) على بعض المفسرين توسعهم في هذا الباب فقال: "واعلم أنه قد أطال كثير من المفسرين كابن كثير والسيوطي وغيرهما في هذا الموضوع بذكر الأحاديث الواردة في الإسراء على اختلاف ألفاظها، وليس في ذلك كثير فائدة، فهي معروفة في موضعها من كتب الحديث، وهكذا أطالوا بذكر فضائل المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهو مبحث آخر. والمقصود في كتب التفسير ما يتعلق بتفسير ألفاظ الكتاب العزيز، وذكر أسباب النزول، وبيان ما يؤخذ منه من المسائل الشرعية، وما عدا ذلك فهو فضلة لا تدعوا إليه حاجة". فتح القدير (٢٨٩/٣).

(٢) سورة المعارج، الآيتان رقم (٣٦، ٣٧).

عزين). والسنة أن يجلسوا حلقة واحدة، أو بعضهم خلف بعض، ولا يتفرقون في الجلوس"[1]. وكذلك ما ذكره أبو عبيدة في المجاز عند بيانه لمفردة (مرج) في قول الرب جل جلاله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ﴾[2]، حيث يقول: "إذا تركت الشيء وخليته فقد مزجته... مزجت دابتك، أي: تركتها في أمر مريج، أي مختلط... وفي الحديث (مرجت عهودهم وأماناتهم) أي: اختلطت وفسدت)[3].

ثانياً: ترجيح أحد المعاني الواردة في المفردة بما جاء في السنة.

وذلك بأن يرجح واحد من الفريقين قولاً من الأقوال المحكية في المفردة القرآنية، ثم يدلل على ترجيحه بما جاء في السنة، وهذا النوع عند المفسرين أشهر من عند اللغويين.

ومن الأمثلة على ذلك ما رجحه ابن العربي المالكي في أن المراد بمفردة (سفرة) في قوله تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾﴾[4] الملائكة، حيث يقول "لقد كان أصحاب محمد سفرة كراماً بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين

---

(١) تفسير القرآن (٥٠/٣)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة والنهي عن الإشارة باليد، حديث رقم (٩٦٧)، وانظر مثلاً: جامع البيان (١١٨/٢) عند مفردة (فادارأتم).

(٢) سورة الفرقان، الآية رقم (٥٣).

(٣) مجاز القرآن (٧٧/٢)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (٦٥٠٨)، وأبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في الأمر والنهي، حديث رقم (٤٣٤٣). وانظر مثلاً: معاني القرآن للفراء (٧٨١/٢) عند مفردة: (يتركم).

تنبيه: لقلة بضاعة اللغويين – عموماً – في الحديث فإنهم يوردون الحديث بغير لفظه، ويقتصرون فيه على محل الشاهد، ولا يلتزمون الصحة فيما يوردون. والله أعلم.

(٤) سورة عبس، الآية رقم (١٥).

بها، بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم.

روي في الصحيح عن عائشة أن رسول الله (ﷺ) قال: (مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرؤه وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران)"[1].

وكذلك ما قاله أبو جعفر النحاس في معانيه عند إيراده الأقوال الواردة في المراد بمفردة (أمرنا) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا﴾[2] حيث ساق ثلاثة أقوال ثم قال: "والقول الثاني في معنى (أمرنا): قال معمر عن قتادة (أمرنا): أكثرنا،... وقد حكى أبو زيد وأبو عبيدة أنه يقال: (أمرنا) بمعنى أكثرنا.

ويقوي ذلك الحديث المرفوع (خير المال سِكة مأبُورة، ومُهْرة مأمورة)"[3].

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٢٦٧/٤). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب سورة عبس، حديث رقم (١٨٥٩). وانظر مثلاً: معالم التنزيل (٧٠٠/٤) عند مفردة (الكوثر).

(٢) سورة الإسراء، الآية رقم (١٦).

(٣) معاني القرآن (١٣٥/٤)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٥٨٤٥).

المطلب الثالث
بيان المفردة القرآنية بأقوال السلف

المقصود بالسلف الذين تعد أقولهم مصدراً من مصادر التفسير هم القرون الثلاثة المفضلة المشهود لهم بالخيرية، وهم الصحابة والتابعون وأتباعهم الذين قال فيهم رسول الله (ﷺ): (خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)[١].

وإنما كانت أقوالهم مصدراً من مصادر التفسير لقربهم من عصر النبوة فـ "كلما كان العهد بالرسول (ﷺ) أقرب كان الصواب أغلب"[٢]، والخطأ أبعد.

فأما الصحابة فلأنهم شاهدوا التنزيل وعرفوا أحواله، "فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل، ويدركون ما لا يدركه غيرهم بسبب ذلك، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب"[٣]، ناهيك عن أنهم "عرب فصحاء لم تتغير ألسنتهم، ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان صح اعتماده من هذه الجهة"[٤]، إضافة إلى حسن فهمهم وسلامة مقصدهم[٥].

---

(١) أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الشهادات، باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، حديث رقم (٢٦٥٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم (٢٥٣٣).

قال ابن حجر في الفتح (٣١٧/٨): "واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين...".

(٢) إعلام الموقعين لابن القيم (٩٠/٤)، وانظر: الموافقات للشاطبي (١٢٧/٢).

(٣) الموافقات (١٢٨/٤).

(٤) المصدر السابق. وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم (٤٢٥/١).

(٥) انظر: إعلام الموقعين (١١٣/٤).

وأما التابعون وأتباعهم فقد كانوا وعاءً لتفسير الصحابة، فنقلوه لمن بعدهم، إضافة إلى أنهم كانوا في عصر الاحتجاج اللغوي، فهم إما أن يكونوا ممن يحتج بكلامهم في اللغة، أو على الأقل لا يخرجون عن كونهم نقلة للغة، يحتج بنقلهم كحال اللغويين الذين عاصروهم(١)؛ ولذلك فإن العلماء الذين دوَّنوا التفسير المأثور عن السلف نقلوا عن هذه الطبقات الثلاث المذكورة آنفاً.

إذا تقرر هذا، فإن أولى ما يرجع إليه في بيان المفردة القرآنية بعد الوحي أقوال السلف(٢)، وهذا ما دأب عليه المفسرون، حتى من كتب منهم في غريب القرآن نص على النقل عنهم وتقديمهم(٣)، فأكثروا من النقل عنهم، واعتمدوا أقوالهم في بيان معاني المفردات، وعدّوا كل قول خالف قولهم قولاً مردوداً؛ لأنهم "أعلم بالحق الذي بعث الله به رسوله (ﷺ)، فمن خالف قولهم وفسر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعاً"(٤).

أما اللغويون فقد أفادوا من السلف في بيان المفردة القرآنية، لكن تلك الاستفادة كانت يسيرة(٥)؛ وذلك لأن جل أقوالهم تتوافق مع أقوال السلف، فهم شركاء في البيان اللغوي، بَيْد أن بعض اللغويين قد قام بتخطئة السلف في بيان بعض المفردات ظناً منه أن بيانهم لا يعرفه العرب، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في مجاز القرآن لأبي عبيدة عند بيانه لمفردة (متكأ) الواردة في قول الله تعالى:

---

(١) انظر: فتح الباري (٣١٧/٨)، التفسير اللغوي للطيار (ص:١٦١).

(٢) انظر: البرهان في علوم القرآن (٢١٧/٢)، الإتقان في علوم القرآن (٧٣٦/٣).

(٣) انظر: تفسير غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٤).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٢/١٣) وانظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢٥٨/١).

(٥) انظر على سبيل المثال: مفردة (لهوا) في معاني القرآن (٥٢٥/١)، ومفردة (فهديناهم) في معاني القرآن للزجاج (٢٩٠/٤)، وأكثر اللغويين عناية بأقوال السلف أبو جعفر النحاس في معانيه.

﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا﴾[1]، حيث يقول: "(متكأ) أي: نمرقاً تتكئ عليه، وزعم قوم أنه الأترج، وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه، ويقال: ألقِ له متكئاً"[2].

والقول بأن المتكأ هو الأترج قول مروي عن ابن عباس وجمع من السلف[3]، وما ينفيه بعض اللغويين من المعاني التي يقولها السلف، قد يثبته غيرهم[4]، وما يقوله السلف غير خارج عما قاله أهل اللغة[5]؛ إذ هم عرب أقحاح، أو نقلة للغة كما مر سابقاً[6]، وكل قول وارد عنهم فإنه يُحكم بعربيته[7]، وهم أعلم بتأويل القرآن من غيرهم[8].

وقد يذكر اللغويون للمفردة معانى لم يذكرها السلف، فإن كانت تلك المعاني مبطلة لقول السلف، فالحكم فيها كما سبق.

---

(١) سورة يوسف (عليه السلام)، الآية رقم (٣١).

(٢) مجاز القرآن (٣٠٩/١)، وانظر: معاني القرآن للفراء، عند مفردة (يطوف) (٨٣/١)، ورد ابن العربي عليه في الأحكام (٧١/١).

(٣) انظر: جامع البيان (١٢٦/١٣)، تفسير ابن أبي حاتم (٢١٣٢/٧).

(٤) قال ابن حجر في الفتح (٢٣١/١٠)، "لكن ما نفاه المؤلف – يعني البخاري – تبعاً لأبي عبيد قد أثبته غيره... وقد حكاه الفراء وتبعه الأخفش وأبو حنيفة الدينوري والقالي وابن فارس وغيرهم كصاحب المحكم والجامع الصحاح".

(٥) انظر: معاني القرآن للزجاج (٥٠/٢).

(٦) انظر: (ص: ٢٢) من هذا البحث.

(٧) انظر: الموافقات للشاطبي (٢٥٣/٤)، فتح القدير للشوكاني (٧٠/١).

(٨) انظر: جامع البيان (١٢٥/١٣).

وإن كانت لا تنافي قول السلف وتثبت في لغة العرب وتحتملها الآية فهو من باب توسيع المعنى وتكون مقبولة حتى وإن بدا للمفسر ترجيح غيرها، فهذا لا يعني أنه يردها ولا يقبلها.

ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في معاني القرآن للفراء عند تفسيره لمفردة (لاغية) من قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾[1]، حيث قال: "وقوله (ﷻ): ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ حالفة على كذب"[2].

قال الطبري معلقاً: "وزعم بعض نحويي الكوفيين أن معنى ذلك: لا يُسمع فيها حالفة على الكذب. ولذلك قيل: لاغية.

ولهذا الذي قاله مذهب ووجه، لولا أن أهل التأويل من الصحابة والتابعين على خلافه، وغير جائز لأحدٍ خلافهم فيما كانوا عليه مجتمعين"[3] والله أعلم.

(١) سورة الغاشية، الآية رقم (١١).

(٢) معاني القرآن (٩٧٤/٢).

(٣) جامع البيان (٣٤/٢٤).

قلت: وما ذكره الفراء لا يناقض قول السلف، وهو داخل في ضمن أقوالهم؛ إذ إن الحلف الكذب من الباطل، والباطلُ من اللغو. والمقصد هنا تقرير الأصل لامناقشة المثال. والله أعلم. وانظر: مفردة (سينين) عند الأخفش في معانيه (٥٨١/٢).

المطلب الرابع
بيان المفردة القرآنية بمقتضى اللغة

أنزل الله كتابه القرآن الكريم بلسان نبيه محمد بن عبدالله القرشي العربي (ﷺ)؛ لذا فإنه لا سبيل لتطلب فهمه، وشرح مفرداته إلا باتباع معهود الأميين، وهم العرب الذين نزل القرآن، بلسانهم[١]، فمن ابتغى وراء ذلك فقد أخطأ وند[٢].

وعليه، فإن اللغة أوسع مصادر التفسير؛ إذ ما من آية إلا وللبيان اللغوي فيها مسلك، ولا يلزم أن يكون لها آية أخرى تفسرها، ولا حديث يبينها، ولا سبب نزول يكشف ما فيها.

والمفسرون عُنوا بهذا المصدر إيما عناية، فنقلوا البيان اللغوي عن أئمة اللغة وعن السلف، والأخيرون أعلم بتأويل المفردة القرآنية من غيرهم[٣]، ولذلك كان نظر المفسرين إلى المفردة القرآنية كجزء من الآية، يكتنف بيانها جميع مصادر التفسير لا اللغة وحدها، فقلَّ عندهم الخطأ في بيانها، وراعوا في البيان المعنى لا اللفظ، إذ الألفاظ إنما أصلحت لأجل المعاني، فهي وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد[٤]. وسيأتي مزيد بيان ذلك عند الحديث عن طريقتهم في البيان إن شاء الله. أما اللغويون عموماً فنظرهم إلى اللفظ أسبق منه إلى المعنى، ولم يتعاملوا مع المفردة على أنها مفردة قرآنية يراعى فيها نظم القرآن ونحو ذلك مما سيأتي بيانه إن شاء الله، وهذا الأمر جرَّ على اللغويين لوم مفسري السلف وعيبهم مسلكهم ذلك، ومن هذا ما قاله أبو عمر الجرمي: "أتيت أبا عبيدة بشيءٍ منه – أي من

---

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (١٣١/٢).

(٢) انظر: (ص: ٧) من هذا البحث.

(٣) انظر: جامع البيان (١٢٤/١٣)، فتح الباري لابن رجب (١٨٤/٢).

(٤) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (ص:٩-١٠).

كتابه المجاز –، فقلت له: عمَّن أخذت يا أبا عبيدة فإن هذا خلاف تفسير الفقهاء؟ فقال لي: هذا تفسير الأعراب البوَّالين على أعقابهم، فإن شئت فخذه، وإن شئت فذره.

قال أبو حاتم: وما يحل لأحد أن يقرأه إلا على شرط إذا مر بالخطأ أن يبينه ويغيره، وقال مروان بن عبدالملك: سألت أبا حاتم عن غريب القرآن لأبي عبيدة الذي يقال له المجاز، فقال لي: إنه لكتاب ما يحل لأحد أن يكتبه، وما كان شيء أشد عليَّ من أن أقرأه قبل اليوم، ولقد كان أن أضرب بالسياط أهون عليَّ من أن أقرأه، ما يجوز لأحد أخذه... إنه أخطأ وفسر القرآن على غير ما ينبغي"(١).

وها هو شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) ينقل عن الإمام أحمد رأيه في كتاب معاني القرآن للفراء حيث يقول: "ولهذا كان أحمد بن حنبل ينكر على الفراء وأمثاله ما ينكره، ويقول: كنت أحسب الفراء رجلاً صالحاً حتى رأيت كتابه في معاني القرآن"(٢).

ولما كتب أبو عبيد القاسم بن سلام كتاباً في المعاني أنكر عليه الإمام أحمد وقال له: "بلغني أنك تؤلف كتاباً في القراءات أقمت فيه الفراء وأبا عبيدة أئمة يحتج بهما في معاني القرآن، فلا تفعل"(٣).

والاعتماد على العربية كمصدر وحيد دون بقية المصادر كان مطية لأهل البدع والأهواء في تحريف الكلم عن مواضعه، وتحميل مفردات كتاب الله ما لم تحتمل؛ وهذا ما جعل السلف يقفون من اللغويين هذا الموقف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله):

---

(١) طبقات النحويين واللغويين (ص:١٧٦) بتصرف.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٥/١٦).

(٣) طبقات المفسرين للداودي (١٠٨/١).

"ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم وبقولهم ما تأولوه من اللغة؛ ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي صلى الله عليه والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف... وقد ذكرنا كلام أحمد وغيره في إنكار هذا وجعله طريقة أهل البدع"(١).

وهذا ما حصل من الأخفش في معانيه، حيث يقول عند بيانه لمفردة (ناظرة) في قول الحق تبارك وتعالى ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(٢): "يعني – والله أعلم – بالنظر إلى الله إلى ما يأتيهم من نعمه ورزقه. وقد نقول: والله ما أنظر إلا إلى الله وإليك، أي: انتظر ما عند الله وعندك"(٣).

وإضافة إلى ما سبق فإن الاعتماد على اللغة كمصدر للتفسير فحسب مفضٍ إلى الخطأ في التفسير والوقوع فيه، يقول الإمام النووي (رحمه الله):

"... ومنهم من يفسر ألفاظه العربية من غير وقوف على معانيها عند أهلها، وهي مما لا يؤخذ إلا بالسماع من أهل العربية وأهل التفسير، كبيان معنى اللفظة وإعرابها،... وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر. ولا يكفي مع ذلك معرفة العربية وحدها، بل لابد معها من معرفة ما قاله أهل التفسير فيها، فقد يكونون مجتمعين على ترك الظاهر، أو إرادة الخصوص، أو الإضمار وغير ذلك مما هو خلاف الظاهر"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (١١٩/٧).

(٢) سورة القيامة، الآية رقم (٢٣).

(٣) معاني القرآن (٥٥٨/٢)، وقد تبعه كذلك من المفسرين كالزمخشري وغيره تبعاً لمعتقدهم الفاسد.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن (ص:١٣٣)، وبنحوه قال القرطبي في تفسيره (٥٩/١).

وقال شيخ الإسلام (رحمه الله): "... قوم فسروا القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، من غير نظر إلى المتكلم بالقرآن والمنزل عليه والمخاطب به [فهؤلاء] راعوا مجرد اللفظ وما يجوز عندهم أن يريد به العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام"(١).

ومن هنا ينبغي أن يُعلم أنه ليس كل ما صح عربية صح تفسيراً(٢)، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الزجاج في المعاني عند تفسيره لمفردة (مستخف) عن قطرب حيث يقول:

"وذكر قطرب وجهاً آخر، ذكر أنه يجوز أن يكون (مستخف بالليل) ظاهراً بالليل، هذا في اللغة جائز، ويكون مع هذا (وسارب بالنهار) أي: مستتر، يقال: انسرب الوحش إذا دخل في كناسه"(٣).

قال **ابن عطية مستدركاً**: "**قال القاضي أبو محمد:** وهذا القول وإن كان تعلقه باللغة بيِّنا فضعيف؛ لأن اقتران الليل بالمستخفي والنهار بالسارب يرد على هذا القول"(٤).

وينبغي أن يُعلم كذلك أنه يجب " أن يحمل القرآن على أصح المعاني، وأفصح الأقوال، فلا يحمل على معنى ضعيف، ولا على لفظ ركيك"(٥)، وحينئذٍ يُعلم خطأ بعض اللغويين في بيانهم لبعض المفردات القرآنية بمعانٍ ضعيفة أو شاذة في لغة العرب، ومن الأمثلة على ذلك تفسير الزجاج لمفردة (الجزء) في

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٥ -٣٥٦) بتصرف.

(٢) انظر: قواعد الترجيح عند المفسرين (٢/١٩).

(٣) معاني القرآن (٣/١١).

(٤) المحرر الوجيز (٥/٥٨٤).

(٥) الإشارة إلى الإيجاز، للعز بن عبدالسلام (ص: ٢٢٠).

قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾[1] بأنه الإناث حيث يقول:

"يعني به الذين جعلوا الملائكة بنات الله، وقد أنشدني بعض أهل اللغة بيتاً يدل على أن معنى جزء الإناث، ولا أدري البيت قديم أم مصنوع، أنشدني:

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد تجزئ الحرة المذكار أحياناً"[2]

قال الزمخشري معقباً "**ومن بدع التفاسير**: تفسير الجزء بالإناث، وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه: أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً وبيتاً.."[3].

هذا وإن اعتماد بعض اللغويين على اللغة كمصدر وحيد في التفسير قادهم ليس فقط إلى الخروج عن أقوال السلف[4]، بل إلى تخطئة السلف، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن أبي عبيدة في تخطئته لمفسري السلف عند بيان المفردة (طلح) من قول الحق جل جلاله: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾[5] حيث يقول:

"زعم المفسرون أنه الموز، وأما العرب الطلح عندهم شجر عظيم كثير الشوك، وقال الحادي:

---

(١) سورة الزخرف، الآية رقم (١٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه (٣٠٩/٤). وقال الأزهري في تهذيب اللغة متعقباً الزجاج (٥٩٥/١): "قلت: ولا أدري ما الجزء بمعنى الإناث، ولم أجده في شعر قديم، ولا رواه عن العرب الثقات، ولا يُعبأ بالبيت الذي يذكره؛ لأنه مصنوع".

(٣) الكشاف عن حقائق التأويل (ص:٩٨٦).

(٤) انظر: (ص: ٢٧) من هذا البحث.

(٥) سورة الواقعة، الآية رقم (٣٩).

بشِّرها دليلها وقالا غداً ترين الطلح والحبالا"[1]

قال الطبري بعد أن ساق كلام أبي عبيدة معقباً:

"وأما أهل التأويل من الصحابة والتابعين فإنهم يقولون: إنه هو الموز"[2].

(١) مجاز القرآن (٢/٢٥٠). انظر مثلاً: معاني القرآن للفراء (١/٤٠٨) عند بيانه لمفردة (ييأس).

(٢) جامع البيان (٢٢/٣١٠).

المبحث الثاني
موقف الفريقين من الأحوال والقرائن المتعلقة بالمفردة القرآنية

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله.

المطلب الثاني: موقفهم من أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن.

المطلب الثالث: موقفهم من قرينة السياق.

المطلب الأول
موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله

لما كان القرآن كلام الله جل وعلا، فإنه قد بلغ الغاية في الإتقان في نظمه، فهو من أوله إلى آخره منتظم المباني، متسق المعاني، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ووالله إنه له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه(١).

وإذا كان الأمر كذلك، فإن له عرفاً خاصاً وله أيضاً"معان معهودة لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفه والمعهود من معانيه، فإن نسبة معانيه إلى المعاني، كنسبة ألفاظه إلى الألفاظ بل أعظم، فكما أن ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلها وأفصحها ولها من الفصاحة أعلى مراتبها التي يعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجل المعاني وأعظمها وأفخمها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعاني التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجلُّ وأفخم"(٢).

من أجل ذلك كان حقاً على كل من تصدى لتفسير كلام الله جل جلاله أن يعرف طريقة القرآن ومعهود استعماله(٣).

ومعرفة طريقة القرآن لا تكون إلا بالاستقراء التام لجميع آياته والوقوف على معانيها.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس من قول المغيرة بن شعبة، حديث رقم (٣٨٧٢). وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) بدائع الفوائد (٨٧٧/٣).

(٣) التحرير والتنوير (١٢٤/١).

وهذا ما كان من مفسري القرآن الكريم، وعلى رأسهم سلف هذه الأمة، وصنيعهم هذا أبرز لنا ما يسمى بكليات الألفاظ في القرآن الكريم، وهو ورود لفظ في القرآن على معنى أو طريقة مطردة أو أغلبية[١].

ومن هنا فقد دأب المفسرون على العمل بطريقة القرآن الكريم ومعهوده، ودأبهم كان أكثر من اللغويين، ذلك أن نظرهم إلى القرآن الكريم كوحدة موضوعية أدى إلى النظرة الشمولية للمفردات القرآنية حيث وردت.

وعنايتهم بهذه الطريقة جعلتهم يجعلون منها فيصلاً في الترجيح بين الأقوال، ورد بعضها، وقد نصّ على ذلك الشنقيطي في أضواء البيان بقوله "ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن، فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية"[٢].

والشيخ نفسه (رحمه الله) قد طبق هذا الأمر في تفسيره، ومن الأمثلة على ذلك مما جاء في بيان مفردة (الزينة) في قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾[٣]، حيث ذكر الخلاف ثم قال "لفظ الزينة يكثر تكراره في القرآن العظيم مراداً به الزينة الخارجة عن أصل المزين بها، ولا يراد بها بعض أجزاء ذلك الشيء المزين بها... وكون هذا المعنى هو الغالب في لفظ الزينة في القرآن

(١) انظر: كليات الألفاظ في التفسير، للقرني (١٣٩/١).
(٢) أضواء البيان (٢٣/١).
(٣) سورة النور، آية (٣١).

يدل على أن لفظ الزينة في محل النزاع يراد به هذا المعنى الذي غلبت إرادته في القرآن العظيم"[١].

وكذلك ما جاء في معاني القرآن للزجاج عند بيان مفردة (ينكح) في قول الرب جل جلاله ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾[٢].... حيث يقول:

"وتأويل (الزاني لا ينكح إلا زانية) على معنى لا يتزوج، وكذلك الزانية لا يتزوجها إلا زان، وقال قوم: إن معنى النكاح هاهنا الوطء، فالمعنى عندهم الزاني لا يطأ إلا زانية، والزانية لا يطؤها إلا زان، وهذا القول يُبعد؛ لأنه لا يعرف شيء من النكاح في كتاب الله على معنى التزويج..."[٣].

(١) المصدر السابق (٢٢٢/٦). وانظر: كذلك محاسن التأويل للقاسمي (٣٩٦/٨) عند قول الله جل جلاله: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

(٢) سورة النور، الآية رقم (٢).

(٣) معاني القرآن (٢٣/٤). وبنحوه قال شيخ الإسلام في الفتاوى (١١٣/٣٢).

المطلب الثاني
موقفهم من أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن

إن صحة بيان المفردة القرآنية مرتبط بفهم الواقع الذي نزلت فيه، والأحداث التي واكبتها، والقرائن التي صاحبت نزولها، فالعلم بهذه الأحوال شأنه أن يصل بالمشتغل ببيان المفردة القرآنية إلى البيان الصحيح.

لذلك كان حقاً على المشتغل بتفسير القرآن الكريم "أن يعرف اللغة والعادة والعرف الذي نزل به القرآن والسنة، وما كان الصحابة يفهمونه من الرسول عند سماع تلك الألفاظ، فبتلك اللغة والعادة والعرف خاطبهم الله ورسوله، لا بما حدث بعد ذلك، وهذه قاعدة كبيرة من قواعد التفسير"(١).

والجهل بأحوال وعادات من نزل فيهم القرآن موقع في الشبه والإشكالات، يقول الشاطبي (رحمه الله): "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن اراد علم القرآن... ومن ذلك معرفة عادات العرب في أقوالها وأفعالها ومجاري أحوالها حالة التنزيل، وإن لم يكن ثَمَّ سبب خاص لابد لمن أراد الخوض في علم القرآن منه، وإلا وقع في الشبه والإشكالات التي يتعذر الخروج منها إلا بهذه المعرفة"(٢).

ولقد كان المفسرون أحرص الناس على مراعاة ذلك في تفاسيرهم، فبدا ذلك جلياً في بيانهم للمفردة القرآنية، وكذلك في الرد على من أخطأ في بيانها دون مراعاة لأحوال وعادات من نزل فيهم القرآن، ومن ذلك ما جاء في بيان المراد بمفردة (التهلكة) في قول الله جل جلاله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾(٣)، حيث أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن أسلم أبي عمران النجيبي

---

(١) جواهر الأفكار ومعادن الأسرار، لابن بدران (ص:١٣٥).

(٢) الموافقات (٤ /١٤٦، ١٥٤) بتصرف.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (١٩٥).

قال: كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يُلقي بيديه إلى التهلكة فقام أبو أيوب الأنصاري فقال: يا أيها الناس إنكم لتؤولون هذه الآية هذا التأويل وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكَثُر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً دون رسول الله (ﷺ): إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا، فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله على نبيه (ﷺ) يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها، وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم"[1].

قال السمعاني بعد أن ذكر الأقوال الواردة في الآية "والأول أصح[2]"، ثم ساق الأثر الآنف الذكر.

أما اللغويون فلم يكن شأنهم في ذلك شأن المفسرين، وما جاء من ذلك في كتبهم إنما نقلوه من المفسرين، ولهذا يكثر في عباراتهم: جاء في التفسير، أو قال أهل التفسير[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب ومن سورة البقرة، حديث رقم (٢٩٧٢)، وأبو داود، كتاب الجهاد، باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، حديث رقم (٢٥١٢)، والنسائي في الكبرى، كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، حديث رقم (١١٠٢٩).

(٢) تفسير القرآن (١٩٥٠/١)، وانظر المحرر الوجيز (٤٩٠/٤) عند بيانه المفردة (الأنفال).

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (١٣/٣) عند بيانه لمفردة (وزيادة) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾، ومعاني القرآن للنحاس (٣٦٢/٤) عند بيانه لمفردة (وفداً) في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾.

ومع ذلك فلم يهملوا أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن وإن لم يكن عنايتهم بها كالمفسرين، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في معاني القرآن للنحاس عند بيانه للمراد بمفردة (المحصنات) في قول الرب جل جلاله: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾[1]، حيث ساق الأقوال في المراد بهن ثم قال: "وأحسنها الأول [ذوات الأزواج]؛ لحديث أبي سعيد الخدري "أصبنا سبياً يوم أوطاس، ولهن أزواج، فكرهنا أن نقع عليهن، فسألنا رسول الله، فنزلت هذه الآية، فاستحللناهن"[2].

وعدم عناية بعضهم بهذه القرينة أوقعه في الخطأ، وهذا ما حصل لأبي عبيدة معمر بن المثنى في المجاز عن بيانه للمراد بمفردة (البيوت) في قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾[3]، حيث يقول: "ومجازها: أي: اطلبوا البر من أهله ووجهه ولا تطلبوه عن الجهلة المشركين"[4].

قال ابن العربي معلقاً على قول أبي عبيدة ومن نحا نحوه: "وأما كونه مثلاً في إتيانه الأمور من وجوهها فذلك جائز في كل آية؛ فإن لكل حقيقة مثلاً منها ما يقرب ومنها ما يبعد، وحقيقة هذه الآية البيوت المعروفة، بدليل ما روي في سبب نزولها من طرق متعددة ذكرنا أوعبها عن الزهري فحقق أنها المراد بالآية"[5].

---

(١) سورة النساء، الآية رقم (٢٤).

(٢) معاني القرآن (٥٧/٢).

(٣) سورة البقرة، الآية (١٨٩).

(٤) مجاز القرآن (٦٨/١).

(٥) أحكام القرآن (١٣٣/١)، وسبب النزول أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾، حديث رقم (١٧٠٩)، ومسلم، كتاب التفسير، حديث رقم (٣٠٢٦)، عن البراء (ﷺ) قال: (نزلت هذه الآية فينا، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا، لم يدخلوا من قِبل أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، فجاء رجل من الأنصار فدخل من قِبل بابه، فكأنَّه عُيِّر بذلك، فنزلت (وليس البر بأن تأتوا البيوت... الآية).

المطلب الثالث
موقفهم من قرينة السياق

لما كانت ألفاظ كتاب الله أعظم الألفاظ قدراً، وأعلاها كعباً، وأفصحها لغة، كان لابد للمتفهم لها من أن ينظر إليها بخصوصها وسياقها في كل آية[١]، إذ لا محيص له من رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، فهو ينظر للمفردة "نظرتين، ويزنها وزناً علمياً مرتين، مرة في استعمالات العرب حتى يعرف أي وجه من وجوهها أقوى وأرجح، ومرة ثانية في مناسبة السابق واللاحق"[٢].

وهذا النظر للمفردة جعل الإمام الزركشي (رحمه الله) يُشيد بصنيع الراغب الأصفهاني في مفرداته حيث يقول: "وطريق التوصل إلى فهمه النظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السياق، وهذا يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات، فيذكر قيداً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ؛ لأنه اقتنصه من السياق"[٣].

ولذلك عاب الطاهر بن عاشور (رحمه الله) على من لم يراع سياق الآية في بيان المفردة، فقال: "وقد تعددت أقوال المفسرين في تقرير المراد بالكبد، ولم يعرج واحد منهم على ربط المناسبة بين ما يفسر به الكبد وبين السياق المسوق له الكلام وافتتاحه بالقسم المشعر بالتأكيد وتوقع الإنكار، حتى كأنهم بصدد تفسير كلمة مفردة ليست واقعة في كلام يجب التئامه، ويحق وئامه"[٤].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٨/٦).
(٢) الفوز الكبير في أصول التفسير لولي الله الدهلوي (ص:١١١).
(٣) البرهان في علوم القرآن (٢١٨/٢).
(٤) التحرير والتنوير (٣٥١/٣٠).

والمفسرون (ﷺ) في الجملة قد التزموا بهذا المنهج، فراعوا نظم الكلام ولو خالف أصل الوضع اللغوي، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في المحرر الوجيز لابن عطية عند بيانه لمفردة (مسحوراً) من قول الله جل جلاله: ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾[1]، حيث يقول:

"وقوله (مسحوراً) الظاهر فيه أن يكون من السِّحر... والآية التي بعدها هذا[2] تقوي أن اللفظة التي في الآية من السِّحر – بكسر السين –؛ لأن [مسحورا] حينئذٍ في قولهم ضرب مثل له، وأما على أنها من السَّحر الذي هو الرئة، ومن التغذي، وأن تكون الإشارة إلى أنه بشر، فلم يُضرب له في ذلك مثل، بل هي صفة حقيقية له"[3].

أما اللغويون ففي الجملة "راعوا مجرد اللفظ، وما يجوز عندهم أن يريد به العربي، من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلم به ولسياق الكلام"[4]، وهذا الأمر أوقعهم في الخطأ، وحاد بهم عن الصواب في بيان المفردة، يقول شيخ الإسلام (رحمه الله): "وأما تفسيره بمجرد ما يحتمله اللفظ والمجرد عن سائر ما يبين معناه، فهذا منشأ الغلط من الغالطين، لاسيما كثير ممن يتكلم فيه بالاحتمالات اللغوية، فإن هؤلاء أكثر غلطاً من المفسرين المشهورين، فإنهم لا يقصدون معرفة معناه كما يقصد ذلك المفسرون"[5].

---

(١) سورة الإسراء، الآية رقم (٤٧).

(٢) وهي قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ﴾.

(٣) المحرر الوجيز (٦/٢١٨-٢١٩)، وانظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢١/١٧٥) عند بيانه لمفردة (سريا).

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥٦).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥/٩٤).

ومن أمثلة وقوع بعض اللغويين في ذلك، ما جاء عند أبي عبيدة في كتابه المجاز، عند بيانه لمفردة (فارغاً) من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾[1]، حيث يقول: "مجازه: فارغاً من الحزن لعلمها أنه لم يغرق، ومنه قولهم: "من فِزِغٌ، أي: لا قود فيه ولا دية فيه"[2].

وبيانه هذا جعل المفسرين يصفونه بالبعد[3] لمخالفته سياق الآية؛ ذلك أن فؤاد أم موسى لو كان فارغاً من الهم والحزن لما احتاجت إلى أن يربط الله على قلبها، ويرزقها الصبر، وحينئذٍ يكون آخر الآية غير متسق مع أولها[4].

(١) سورة القصص، الآية رقم (١٠).

(٢) مجاز القرآن (٩٨/٢). وانظر نفس المصدر عند قول الله تعالى: ﴿وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ (٢٤٢/١).

(٣) انظر: التسهيل لابن جزي (١٢٤/٢)، والدر المصون (٦٥٣/٨).

(٤) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص:٣٢٨)، البحر المحيط (٤٧٦/٢٠).

المبحث الثالث

طريقة الفريقين في عرض وبيان المفردة القرآنية

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: طريقة الفريقين في عرض المفردة القرآنية.

المطلب الثاني: طريقة الفريقين في بيان المفردة القرآنية.

المطلب الأول
طريقة الفريقين في عرض المفردة القرآنية

اختلفت كتب الفريقين في تناول المفردة القرآنية، فجاءت كتب المفسرين أكثر تناولاً للمفردات القرآنية من كتب المعاني؛ ذلكم أن قصد الأولين هو بيان جميع آي القرآن، بخلاف كتب المعاني التي لم تتناول من آي القرآن إلا ما كان مشكلاً كما ذكر ذلك الفراء[١]، أو ما كان محتاجاً إلى بيان كما هو قصد الزجاج[٢] – رحم الله الجميع–.

والمفسرون – في الجملة – في عرضهم للمفردة القرآنية قد أفادوا من اللغويين[٣]، بَيْد أن اللغويين قد توسعوا في البيان اللغوي، فتطرقوا لأصل المفردة، وتعرضوا لاشتقاقها، وربما تكلموا عن بنيتها[٤].

والمفسرون ليسوا كذلك في عرض المفردة، اللهم إلا من كان قد أفاد من كتب المعاني فإنه قد حذا حذوهم.

---

(١) انظر: معاني القرآن (١٣/١).

(٢) انظر: معاني القرآن (٤٥/١).

(٣) كالطبري مثلاً أفاد من أبي عبيدة والفراء ونقل عنهم كثيراً، وأفاد في عرضهم، وهذا أمر جلي وظاهر لمن طالع تفسيره، وكذلك الواحدي، ويكثر في تفسيره البسيط قوله (أهل المعاني)، (أصحاب المعاني).

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش، (١٨٦/١) عند مفردة (لغوا)، ومعاني القرآن للفراء (٤٧/١) عند مفردة (عوان)، ومعاني القرآن للزجاج (٢٥٢/١) عند مفردة (لأعنتكم)، معاني القرآن للنحاس (١٤٩/١) عند مفردة (ألد).

ولم يكتف اللغويون بذلك بل ربما ساقوا على المعنى المختار لبيان المفردة شاهداً من كلام العرب، وهذا الشاهد قد يكون نثراً[١]، وقد يكون شعراً[٢]، والأخير هو الأكثر. وقد يساق هذا الشاهد منسوباً إلى قائله[٣]، وقد يساق غفلاً[٤] من دون نسبة.

ومع ذلك كثر عندهم شرح الشاهد اللغوي بقسيمه[٥]. والمفسرون في هذا الأمر دون اللغويين[٦].

وقد يستطرد بعض اللغويين فيذكر عند عرضه لمفردة ما الظواهر الصوتية للمفردة[٧]، وهذا أمر نادر عند نظرائهم من المفسرين.

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (٤٦٤/١) عند مفردة (مثبورا)، معاني القرآن للزجاج (٧٣/٤) عند مفردة فكبكبوا.

(٢) انظر: معاني القرآن للأخفش (٦٤/١) عند مفردة (سبحانك)، معاني القرآن للنحاس (٤٤٣/٢) عند مفردة (تبسل).

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء (٣٥٩/١) عند مفردة (يثنون)، معاني القرآن للنحاس (٣٨٦/١) عند مفردة (محررا).

(٤) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢١٣/١) عند مفردة (مآب)، معاني القرآن للزجاج (٦٩/٢) عند مفردة (مقيتا).

(٥) انظر معاني القرآن للفراء (٢٢٨/١) عند مفردة (يجرمنكم)، معاني القرآن للنحاس (٤٣٤/٣) عند مفردة (يعصرون).

(٦) انظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، للشهري (ص:٣٨٢ وما بعدها). وانظر: الكشاف (ص: ١٣٢)، الجامع لأحكام القرآن (٣٢٥/٥).

(٧) كقول الأخفش عند مفردة (فادارأتهم) (١١٤/١): (فإنما هي (فتدارأتم) ولكن التاء قد غم أحياناً كذا في الدال، لأن مخرجها من مخرجها، فلما أدغمت فيها حولت فجعلت دالاً مثلها، وسكنت فجعلوا ألفاً قبلها حتى يصلوا إلى الكلام بها". وانظر: كذلك معاني القرآن للفراء (٨٢٣/٢).

والفريقان يشتركان في إعراب المفردة القرآنية[١]، إلا أن اللغويين قد أظهروا ذلك بوضوح؛ إذ إن الإعراب مقصد رئيس من مقاصد تأليف كتبهم، فهو قسيم المعاني كما صرحوا بذلك في مقدمات كتبهم[٢].

وقد يقترن عرض الفريقين للمفردة القرآنية بذكر القراءات الواردة فيها[٣]، ويتجاوز ذكر المتواترة إلى الشاذة، وهو أكثر لاسيما فيما يتعلق ببيان المفردة.

ولم يقف الأمر على ذكر القراءات والاستدلال بها على بيان المفردة، بل تعداه إلى توجيهها[٤]، وهذا الأمر – أعني توجيه القراءات – قد بدا وتجلى في كتب المفسرين أكثر منه في كتب اللغويين.

وبرزت ميزة توشحها المفسرون دون اللغويين أثناء عرضهم للمفردة، وهي ذكر الوجوه والنظائر[٥]، ومن هذه الميزة نشأ ما يسمى بالمصطلح القرآني، وسبقت الإشارة إليه[٦].

تلكم هي أبرز المعالم التي سلكها الفريقان في عرضهم للمفردة القرآنية، وهي بمثابة المقدمة للتعرف على طريقتهم في البيان، وهذا ما سيكون إيضاحه في المطلب القادم إن شاء الله.

---

(١) انظر مثلاً: معاني القرآن للأخفش (١٦٩/١)، معاني القرآن للفراء (٤٨٧/١)، البحر المحيط (٣٧٦/١٥)، الدر المصون(٢٠٢/١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن للزجاج (٤٥/١).

(٣) انظر: معاني القرآن للأخفش (٢٣٩/١)، معاني القرآن للنحاس (٢٦٥/٣)، الكشف والبيان (٢٨٤/٣)، معالم التنزيل (٧٦/١)

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء (٨٣٩/٢)، معاني القرآن للزجاج (٧٥/٤)، المحرر الوجيز (٢/ ٣٨٥)، البحر المحيط (٣٥٠/٣).

(٥) انظر: المحرر الوجيز (٢٤٥/١)، اللباب في علوم الكتاب (٥٠٠/٣).

(٦) انظر: (ص: ١١) من هذا البحث.

المطلب الثاني
طريقة الفريقين في بيان المفردة القرآنية

الأصل في بيان معاني المفردات القرآنية أن يكون المعنى فيه مطابقاً لأصل الوضع اللغوي، إذ " اللفظ إنما هو وسيلة إلى تحصيل المعنى المراد، والمعنى هو المقصود"[١].

والمشتغلون ببيان المفردات لا يخلو بيانهم لها من أن يكون بياناً على اللفظ، أو بياناً على المعنى، أو بياناً على الإشارة والقياس.

والتفسير على اللفظ هو مسلك اللغويين، والتفسير على المعنى هو مسلك المفسرين، والتفسير على الإشارة والقياس هو مسلك المتصوفة ونحوهم[٢].

والمتأمل لحال الفريقين في بيان المفردة القرآنية يجد أن أهل العلم المشتغلين بالعربية يغلب على بيانهم التفسير اللفظي، وهو: بيان المفردة بالمعنى المراد منها في لغة العرب مع الاستشهاد عليه – أحياناً – من كلام العرب.

وصنيعهم هذا هو الأصل، إذ القرآن نزل بلسان العرب، لكن الاعتماد على هذا الأصل دون مراعاة الأحوال والقرائن موقع في الخطأ والزلل[٣].

بَيْد أن اعتمادهم على هذه الطريقة في البيان لا يعني إهمال أسلوب التفسير على المعنى ؛ لكنه قليل مقارنة بالأول[٤].

---

(١) الموافقات (١٣٨/٢).

(٢) انظر: التبيان في أيمان القرآن لابن القيم (ص:١٢٤).

(٣) انظر: (ص: ٣٧) من هذا البحث، وراجع كلاماً نفسياً للطبري في تفسيره (١٩٧/١٣) في معرض رده على أبي عبيدة.

(٤) انظر مثلاً: معاني القرآن للفراء (٢٨٩/١) مفردة (يتطهرون)، معاني القرآن للزجاج (١٤٩/٢) مفردتي (شرعة ومنهاجاً).

أما المفسرون فقد استحوذ على بيانهم التفسير على المعنى، وهو بيان المفردة دون التعرض إلى معنى المفردة في اللغة. وقد أشار إلى ذلك أبو الحسن الواحدي حيث يقول: "... وكذلك آيات القرآن التي فسرها الصحابة والتابعون، إنما فسروها بذكر المعنى المقصود؛ كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [1]، قال قتادة: إذا قيل له: مهلاً مهلاً، ازداد إقداماً على المعصية، فمن أين لك أن تعرف هذا المعنى من لفظ الآية؟ إلا بعد الجهد وطول التفكر[2]".

فالمفسرون يفهمون من اللفظ معنى فيعبرون عنه بلفظ آخر، تارة يكون مطابقاً لما في اللغة وتارة يكون مخالفاً.

والفرق بين الأسلوبين أن التفسير اللفظي "راجع إلى تقرير أصل الوضع، والآخر راجع إلى تقرير المعنى في الاستعمال، كما قالوا في قوله تعالى﴿وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾[3]، أي: المسافرين، وقيل: النازلين بالأرض القواء وهي القفر، وكذلك قوله:﴿تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ ﴾[4]، أي: داهية تفجؤهم، وقيل: سرية من سرايا رسول الله (ﷺ) وأشباه ذلك"[5].

ولا يعني أن استعمال المفسرين لأسلوب التفسير على المعنى يلغي أسلوب التفسير اللفظي؛ إذ التفسير على المعنى لابد وأن يكون متضمناً للأصل اللغوي وإلا لكان باطلاً، وتفسيرهم على المعنى هو محط الفائدة كما يقول السمين الحلبي

---

(١) سورة البقرة، الآية رقم (٢٠٦).
(٢) التفسير البسيط (٤١٤/١).
(٣) سورة الواقعة، الآية رقم (٧٣).
(٤) سورة الرعد، الآية رقم (٣١).
(٥) الموافقات (٢١٢/٥).

في مقدمة كتابه عمدة الحفاظ، إذ يقول: "وإن ذكر أهل التفسير اللفظة وفسروها بغير موضوعها اللغوي تعرضت إليه أيضاً؛ لأنه والحالة هذه محط الفائدة"[١].

ومن هنا فإن تعدد عبارات المفسرين الناشئ عن أسلوب التفسير على المعنى لا يُعد من قبيل الاختلاف، وإلى ذلك أشار ابن عطية (رحمه الله) في بيانه لمفردتي (الحسنة، والسيئة) في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾[٢] حيث يقول: (الحسنة والسيئة في هذه الآية لفظ عام في كل ما يحسن ويسوء، وما ذكر المفسرون من الخصب والجدب واجتماع المؤمنين ودخول الفرقة بينهم وغير ذلك من الأقوال، فإنما هي أمثلة وليس ذلك باختلاف"[٣]. بل نص على ذلك تقي الدين ابن تيمية (رحمه الله) في المقدمة حيث يقول: "... فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافاً فيحكيها أقوالاً وليس كذلك، فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو نظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الأماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي"[٤] وعليه، فإن في تعدد عباراتهم وتنوعها إثراء لمعنى الآية وزيادة في بيانها، وجمعها أدل على المقصود من عبارة أو عبارتين[٥].

وتفسيرهم على المعنى يتخذ إشكالاً وصوراً، منها:

---

(١) عمدة الحفاظ (٣٩/١).

(٢) سورة آل عمران، الآية رقم (١٢٠).

(٣) المحرر الوجيز (٥٧٧/٢)، وانظر: الموافقات (٢١١/٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٣٦٩/١٣)، وانظر: حادي الأرواح لابن القيم (٣٤٥/١).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٤٣/١٣).

(أ) التفسير بجزء المعنى، وهو أن يذكر المفسر من المعنى الذي يحتمله اللفظ جزءاً منه ليدل به على باقي المعنى[١]، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء عن ابن عباس والحسن وقتادة[٢] في المراد بمفردة (الميزان) في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾[٣] من أنه الميزان المعروف. قال ابن عطية معلقاً: "والميزان المعروف جزء من الميزان الذي يعبر به عن العدل"[٤].

(ب) التفسير بالمثال، وهو تفسير اللفظ العام بصورة أو أكثر من صورة على سبيل التمثيل لا على سبيل الاختصاص[٥]، وهذا هو غالب صنيع المفسرين.

يقول ابن القيم:

"وقد يقع في كلام السلف تفسير اللفظ العام بصورة خاصة على وجه التمثيل لا على تفسير معنى اللفظة في اللغة بذلك فيغير به المعنى فيجعله معنى اللفظة في اللغة كما قال بعضهم في قوله: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[٦]، إنه الماء البارد في الصيف، فلم يرد به أن النعيم المسؤول عنه هو هذا وحده... فهذا كله من التمثيل للمعنى العام ببعض أنواعه"[٧].

---

(١) فصول في أصول التفسير (ص: ٨٣).

(٢) انظر: جامع البيان (١٧٩/٢٢)، الكشف والبيان (٢٩٥/٢٥).

(٣) سورة الرحمن، الآية رقم (٧).

(٤) المحرر الوجيز (٣٠٩/٩)، وانظر: معالم التنزيل (٢٤٦/١) عند مفردة (قانتين).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (٣٣٧/١٣).

(٦) سورة التكاثر، الآية رقم (٨).

(٧) الصواعق المرسلة (٦٩٩/٢). وانظر: البحر المحيط (٦٥٨/٢٠) عند مفردة (جاهدوا).

(ج) التفسير باللازم، وهو تفسير اللفظ بمعنى ليس مأخوذاً من ظاهر اللفظ لكنه لازم للمعنى المراد[1]، وقد بين ابن القيم (رحمه الله) "أن السلف كثيراً ما ينبهونه على لازم معنى الآية، فيظن الظان أن ذلك هو المراد منها"[2].

وقد أشار شيخ المفسرين الإمام ابن جرير الطبري إلى أن استعمال المفسرين لأسلوب التفسير على المعنى كان منهم لحكمة، حيث يقول عند بيانه لمفردة (الخاسرون) من قول الله جل جلاله: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾[3]، "وقد قيل: إن معنى (أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ): أولئك هم الهالكون. وقد يجوز أن يكون قائل ذلك أراد ما قلنا من هلاك الذي وصف الله صفته بالصفة التي وصفه بها في هذه الآية، بحرمان الله إياه ما حرمه من رحمته للمعصية إياه وكفره به، فحمل تأويل الكلام على معناه دون البيان عن تأويل عين الكلمة بعينها، فإن أهل التأويل ربما فعلوا ذلك لعلل كثيرة تدعوهم إليه"[4].

ولم يذكر ابن جرير (رحمه الله) علة من تلك العلل.

قلت: وربما من تلك العلل ما ذكره شيخ الإسلام (رحمه الله) بقوله: "... وهذا كثير من تفسير السلف، يذكرون من النوع مثالا له؛ لينبهوا به على غيره، أو لحاجة المستمع إلى معرفته، أو لكونه هو الذي يعرفه"[5].

وكذلك ما ذكره الزركشي بقوله "يكثر في معنى الآية أقوالهم واختلافهم، ويحكيه المصنفون للتفسير بعبارات متباينة الألفاظ، ويظن من لا فهم عنده أن في

---

(١) انظر: فصول في اصول التفسير (ص:٨٢).

(٢) إعلام الموقعين (١٢٩/١). وانظر: تفسير ابن كثير (٤٤٦/٣) عند مفردة (الغابرين).

(٣) سورة البقرة، الآية رقم (٢٧).

(٤) جامع البيان (٤٤٢/١).

(٥) مجموع الفتاوى (١٤٧/١٦).

ذلك اختلافا فيحكيه أقوالا، وليس كذلك، بل يكون كل واحد منهم ذكر معنى ظهر من الآية، وإنما اقتصر عليه؛ لأنه أظهر عند ذلك القائل، أو لكونه أليق بحال السائل"[1].

وبعد، فالذي يظهر أن طريقة المفسرين في بيانهم أوسع من طريقة اللغويين. والله أعلم.

(١) البرهان في علوم (٢٠٢/٢).

الخاتمة

وبعد تطواف بين مباحث ومطالب هذا البحث، ظهر للباحث أن من أهم النتائج:

١- تفاوتُ الفريقين في الاعتماد على المصادر في بيان المفردة القرآنية، فبرز المفسرون في الاعتماد على المصادر النقلية، وبرز اللغويون في الاعتماد في اللغة.

٢- ليس كل ما ثبت في العربية صح حمل آيات التنزيل عليه، وكل ما صح عن السلف فإنه يحكم بعربيته.

٣- لطريقة القرآن واستعمال معهوده وأحوال من نزل فيهم أثر في بيان المفردة القرآنية، وكان للمفسرين قصب السبق في إعمال ذلك دون اللغويين.

٤- للسياق أثر في بيان المفردة القرآنية، فإدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عن ذلك. وهذا ما تميز به المفسرون دون اللغويين.

٥- تميز الفريقان في عرض المفردة القرآنية، بيْد أن اللغويين أكثر تميزاً في عرض المفردة القرآنية.

٦- برز أسلوب التفسير اللفظي عند اللغويين أكثر منه عند المفسرين، بينما برز عند الآخرين أسلوب التفسير على المعنى، وما ذاك إلا لعلل تدعوهم إليه.

بيان المفسرين للمفردة القرآنية أوسع من بيان اللغويين؛ ذلك أن نظر المفسرين للمعنى أسبق، ونظر اللغويين للفظ أسبق.

إذا تقرر هذا، فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- دراسة صور التفسير اللغوي عند المفسرين وإبراز مصادرهم.

٢- تتبع أقوال المفسرين التي انتقدوا فيها أئمة اللغة في بيان المفردة القرآنية ومناقشتها.

٣- دعوة المتخصصين لدراسة كتب أسباب النزول والسيرة النبوية للوقوف على أثر الأحوال والقرائن في بيان المفردة القرآنية.

٤- إبراز أثر السياق في بيان المفردة القرآنية من خلال دراسة كتب التفسير وغريب القرآن.

٥- فحص أقوال السلف للوقوف على العلل التي حملتهم على بيان المفردة القرآنية بأسلوب التفسير على المعنى.

ختاما: أسأل الله جل جلاله وتقدست أسماؤه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن يبارك فيه وينفع به، إنه أعظم مسؤول وهو القريب المجيب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع والمصادر

- الإتقان في علوم القرآن: لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(٩١١هـ) تح: مركز الدراسات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- أحكام القرآن: لأبي بكر بن العربي (ت:٥٤٣هـ) تح: عبدالرزاق المهدي دار الكتاب العربي، طبعة ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- الإحكام في أصول الأحكام: لعلي بن محمد الآمدي (ت٣٢٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٩٥م.
- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: لمحمد بن علي الشوكاني (ت:٢٥٠هـ)ـ تح: سامي بن العربي الأثري، دار الفضيلة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، للعز بن عبدالسلام، تح: رمزي دمشقية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط: الأولى ١٤٠٨هـ.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ) إشراف بكر بن عبدالله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين: للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تح: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تح: محمد عزيز شمس، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، تحـ: ناصر العقل، دار العاصمة، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.
- البحر المحيط في أصول الفقه: لبدر الدين محمد بن بهادر بن عبدالله الشافعي الزركشي (ت:٧٩٤هـ) طبعة وزارة الشئون الإسلامية بالكويت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.
- البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي الأندلسي (ت:٧٤٥هـ)، تحـ: عبدالله التركي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- بدائع الفوائد لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تحـ: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد الطبعة الثالثة ١٤٣٣هـ.
- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت:٧٩٤هـ) تحـ: زكي محمد أبو سريع، دار الحضارة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ.
- التاريخ الكبير لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ) تحـ: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- تأويل مشكل القرآن: لأبي عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت:٢٧٦هـ) تحـ: السيد أحمد صقر، مكتبة دار التراث، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ.
- التبيان في آداب حملة القرآن لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، تحـ: عبدالقادر الأرنؤوط، دار المؤيد، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.
- التبيان في أيمان القرآن، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ) تحـ: عبدالله بن سالم البطاطي، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ.

- التحرير والتنوير في التفسير: لمحمد الطاهر بن عاشور (ت:١٣٩٤هـ). دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٨٤م.
- التسهيل لعلوم التنزيل: لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت:٧٤١هـ) تح: عبدالرزاق المهدي، مؤسسة التاريخ العربي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- تفسر غريب القرآن. لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت:٢٧٦) تح: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية ببيروت.
- التفسير البسيط، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي (ت:٤٦٨هـ)، تح: مجموعة من الباحثين ضمن مشروع بجامعة الإمام محمد بن سعود، الناشر: عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ.
- تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت:٧٧٤هـ)، تح: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ.
- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة التابعين للإمام عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم الرازي (ت٣٢٧هـ) مكتبة نزار مصطفى الباز الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
- تفسير القرآن بالقرآن، لأحمد بن محمد البريدي، بحث منشور ضمن مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد الثاني، ١٤٢٧هـ.
- تفسير القرآن بكلام الرحمن، لثناء الله الآمر تسري، دار السلام، الرياض ١٤٢٣هـ.
- تفسير القرآن: للإمام أبي مظفر السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي (ت:٤٨٩هـ) تح: أبي تميم ياسر بن إبراهيم وأبي بلال غنيم بن عباس. دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- التفسير النبوي لخالد بن عبدالعزيز الباتلي، دار كنوز إشبيليا، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ.

- تهذيب اللغة: لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت:٣٧٠هـ) تح: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ) تح: عبدالله التركي، دار عالم الكتب. الطبعة الأولى، ١٤٣٤.
- الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٦١هـ)، دار الفكر ببيروت.
- الجامع الصحيح لأبي عبدالله بن محمد بن إسماعيل البخاري (ت:٢٥٦هـ)، المكتبة الإسلامية، استانبول، ١٣١٥هـ.
- الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبدالله بن محمد بن أحمد القرطبي (ت:٦٧١هـ) تح: عبدالله التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م.
- جمهرة اللغة لابن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.
- جواهر الأفكار ومعاونة الأسرار المستخرجة من كلام العزيز الجبار، لعبدالقادر بن أحمد بدران، تح: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط: الأولى ١٤٢٠هـ.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ). تح: زائد بن أحمد النشيري، دار عالم الفوائد، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦) تح: أحمد بن محمد الخراط، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

- ديوان عامر بن الطفيل، بشرح أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، قراءة علي ابي العباس ثعلب، تح: محمود الجادر وعبدالرزاق الديمي، الناشر دار الشؤون الثقافية بالعراق، بغداد، ط١، ٢٠٠١م.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت:١٢٧٠هـ) تح: السيد محمد السعيد، وسيد إبراهيم عمران، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.
- روضة الناظر وجنة المناظر، لموفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت:٦٢٠هـ) تح: عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد، الطبعة السابعة ١٤٢٥هـ.
- السنة لمحمد لن نصر المروزي، تح: أحمد أبو المجد، دار العقيدة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
- سنن أبي داوود للإمام سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ) اعتنى به مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- سنن الترمذي للحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت:٢٧٩هـ) اعتنى به مشهور بن حسن سلمان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- السنن الكبرى: لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت:٣٠٣هـ) قدم له واعتنى به وخرج أحاديثه: جاد الله بن حسن الخراشي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم لعبدالرحمن الشهري، دار المنهاج،الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تح: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- الصاحبي: لأحمد بن فارس (ت:٣٩٥هـ) تح: السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لأبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت:٧٥١هـ)، حققه وخرج أحاديثه: د/ علي بن محمد الدخيل الله دار العاصمة، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ.
- صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام: لجلال الدين السيوطي، تح: علي النشار وسعاد عبدالرزاق، الطبعة الأولى، سلسلة إحياء التراث الإسلامي.
- طبقات المفسرين: لمحمد بين علي الداودي (ت:٩٤٥) دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.
- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، الطبعة الثانية.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (ت:٧٥٦هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ) اعتنى به: نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الطبعة الرابعة، ١٤٣٢هـ.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري لأبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين ابن رجب الحنبلي، تح: طارق عوض الله، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، تح:عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء، الطبعة الثالثة ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار، دار ابن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

- الفوز الكبير في اصول التفسير، لولي الله أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي (ت:١١٧٦هـ) تح: سلمان الحسيني الندوي، دار البشائر الإسلامية الطبعة الثالثة: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
- قواعد الترجيح عند المفسرين، لحسين بن علي الحربي، دار القاسم، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لمحمود بن عمر الزمخشري (ت:٥٣٨هـ)، تح: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، الطبعة الثالثة، ١٤٣٠هـ.
- الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ) تح: مجموعة من الباحثين، دار التفسير، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- كليات الألفاظ في التفسير لبريك بن سعيد القرني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ
- اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص عمر بن علي ابن عادل الحنبلي (ت: ٨٨٠هـ)، تح: مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.
- لسان العرب: لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأفريقي (ت:٧١١هـ)، دار صادر، بيروت.
- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت:٢١٠هـ) تح: محمد فؤاد سزكين مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- مجموع الفتاوى: لأحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم وساعده ابنه محمد، طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ١٤٢٥هـ.
- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي (ت:١٣٣٢هـ) تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي، تح: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف بدولة قطر، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ.
- المدخل لعلم تفسير كتاب الله لأحمد بن محمد السمرقندي، تح: صفوان داودي، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري (ت:٤٠٥هـ) وبذيله التلخيص للحافظ الذهبي (ت:٧٤٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ)، تح: مجموعة من الباحثين بإشراف: عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.
- معالم التنزيل لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت:٥١٦هـ) تح: محمد بن عبدالله النمر وآخرين، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
- معاني القرآن الكريم، لأبي جعفر النحاس (ت:٣٣٨هـ) تح: محمد علي الصابوني طبعة جامعة أم القرى الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م.
- معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق إبراهيم بن السري المعروف بالزجاج (ت:٣١١هـ)، تح: عبدالجليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت:٢٠٧هـ) تحق: عبدالفتاح شلبي، عالم الكتب، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.
- معاني القرآن، للأخفش الأوسط سعيد بن مسعده (ت:٢١٥هـ) تح: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ.
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبدالباقي. دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م.

- مفاتيح الغيب، لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت:٦٠٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٩م.
- مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني تح: صفوات داوودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة: ١٤٣٣هـ-٢٠٠٢م.
- مقالات في علوم القرآن وأصول التفسير لمساعد الطيار، دار المحدث، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ
- الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد البلخي الشاطبي (ت:٧٩٠هـ)، ضبط نصه وقدم له وعلق عليه وخرج أحاديثه: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (ت:٦٠٦هـ) تح: علي بن حسن بن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٧هـ.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، لمكي بن أبي طالب القيسي (ت:٤٣٧هـ) مجموعة رسائل جامعية، جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة الطبعة الأولى ١٤٢٩-٢٠٠٨م.
- وكان عرشه على الماء، لـ/ عادل محمد عباس، نشر مركز الدراسات المعرفية، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث عربي	٣
ملخص البحث إنجليزي	٤
المقدمة	٥
التمهيد	٩
• **المطلب الأول:** أهمية العربية في التفسير	١١
• **المطلب الثاني:** أنواع المفردة	١٤
المبحث الأول: مصادر الفريقين في بيان المفردة القرآنية	١٧
• **المطلب الأول:** بيان المفردة القرآنية بالقرآن	١٩
• **المطلب الثاني:** بيان المفردة القرآنية	٢٢
• **المطلب الثالث:** بيان المفردة القرآنية بأقوال السلف	٢٧
• **المطلب الرابع:** بيان المفردة القرآنية بمقتضى اللغة	٣١
المبحث الثاني: موقف الفريقين من الأحوال والقرائن المتعلقة بالمفردة القرآنية	٣٧
• **المطلب الأول:** موقفهم من طريقة القرآن ومعهود استعماله	٣٩
• **المطلب الثاني:** موقفهم من أحوال وعادات من نزل فيهم القرآن	٤٢

• **المطلب الثالث:** موقفهم من قرينة السياق	٤٥
• **المبحث الثالث:** طريقة الفريقين في عرض وبيان المفردة القرآنية	٤٩
• **المطلب الأول:** طريقة الفريقين في عرض المفردة القرآنية	٥١
• **المطلب الثاني:** طريقة الفريقين في بيان المفردة القرآنية	٥٤
الخاتمة	٦٠
المصادر والمراجع	٦٢
فهرس الموضوعات	٧٢